تربية المجتمع المسلم

(دِراسةٌ تطبيقية في آيات من سورة البقرة)

إعداد

د . عبد الرحمن بن عبيد الرفدي

قسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية - جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

(المملكة العربية السعودية)

موجز عن البحث

يستحضر هذا البحث قضية التربية التي هي شاغل المجتمعات عبر التاريخ، وربما ازداد الاهتمام بها في وقتنا المعاصر، وانطلاقًا من اعتقادنا الجازم بأن القرآن الكريم كتاب هداية ونور؛ فإنه بلاشك المصدر الأساس لتربية المجتمع المسلم والارتقاء به ليحقق الخيرية والوسطية والريادة. وهو ما تم استهدافه في مسائل البحث، فقد تم الاعتماد في الدراسة على آياتٍ مختارة من سورة البقرة وما يعضّدها من السور الأخرى، والحديث المركز عن قضايا رئيسة لها انعاكاساتها الثقافية والتربوية على المجتمع المسلم وهي: الثبات على المبادئ، واحترام الأحكام الشرعية وعدم التلاعب بها، وقطع ذرائع الفساد، والتربية المالية، وبيان الآداب التي تلزم المسلم حين تعامله مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وسلم، والقدوة الحسنة، والتحذير من البدع، وتحمل

المسؤولية وبخاصة تبليغ الإسلام. وتوصل الباحث إلى عدد من النتائج تم ذكرها في الخاتمة، من أهمها تنوع التوجيهات القرآنية التربوية وشمولها كافة متطلبات الحياة الإنسانية. مع التوصية بإجراء دراسات مماثلة على موضوعاتٍ وآيات منتقاة تظهر جوانب أخرى لتربية المجتمع المسلم في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية : تربية ، مجتمع ، أخلاق ، شريعة .

Education Of The Muslim Community
(An Applied Study In Verses From Surat Al-Baqarah)

Abdul Rahman bin Obaid Al-Rafdi
Department of Islamic Studies, College of Education , Prince Sattam bin Abdulaziz University , Saudi Arabia.
E-mail: a.alrafdy@psau.edu.sa

Abstract :

This research brings up the issue of education, which has been the preoccupation of societies throughout history, and perhaps interest in it has increased in our contemporary time, and based on our firm belief that the Holy Qur'an is a book of guidance and light; It is undoubtedly the main source for the upbringing of the Muslim community and its advancement to achieve charitable, moderate and pioneering purposes. This is what was targeted in the research issues, as the study relied on selected verses from Surat Al-Baqarah and the other Suras that support it, and focused talk on major issues that have cultural and educational repercussions on the Muslim community, namely: Consistency on principles, respect for legal rulings and non-manipulation of them, cutting off excuses for corruption, financial education, clarification of the morals that oblige a Muslim when dealing with God Almighty and with His Messenger, may God bless him and grant him peace, good example, warning against innovations, and bearing responsibility, especially the transmission of Islam. The researcher reached a number of results that were mentioned in the conclusion, the most important of which is the diversity of Quranic educational directives and their inclusion of all the requirements of human life. With the recommendation to conduct similar studies on selected topics and verses, other aspects of the education of the Muslim community appear in the Holy Qur'an.

Keywords : Education, Society, Morals, Law.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد:

فإن التربية شاغل المجتمعات البشرية على وجه العموم، فمن خلالها يتم التأسيس الديني السليم، والبناء المعرفي المنضبط، والإعداد الثقافي والفكري المعتدل، ومن شأن ذلك أن يصبح المجتمع بعد مرحلة الإعداد التربوي مؤهلا للإسهام الإيجابي المؤثر في الحياة البشرية، ومصدر خير لذاته وللأمم الأخرى، لأنه بالتربية الدينية والأخلاقية يصبح مجتمعاً رائداً راقياً يحمل النور والخير لكافة الأمم.

ولأن الدراسة بهذا العنوان واسعة، إلا أنني اتجهت إلى اختيار آياتٍ قرآنية كريمة من سورة البقرة باعتبارها أطول سور القرآن، وأول سورة نزلت في المدينة المنورة، والتشريعات والأوامر الواردة فيها تكاد تغطي معظم قضايا المجتمع المسلم، فتم انتقاء الآيات التربوية منها مع استكمال موضوعها من نظيراتها الآيات الأخرى في سور القرآن الكريم. و روعي في الانتقاء أن تشتمل الآيات الكريمة على موضوعات تخص مسائل التربية المالية والالتزام اشتملت تصريحاً وتضميناً على قضايا تربوية تخص قضايا الانقياد للأحكام الشرعية والانضباط السلوكي وفق ما تأمر به الشريعة، لا ما ترغبه النفوس وتميل إليه، فالشريعة الإسلامية نظام حياة، والقرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة اللذان هما مصدراها الرئيسان يضعان القواعد والأحكام التي من شأنها تحقيق خيرية الأمة المسلمة التي وصف الله تعالى بها الأمة في قوله سبحانه: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾[آل‌عمران: ١١٠]، ووجه إليها في قوله سبحانه: ﴿**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**﴾[المائدة: ٤٨].

ولا يفوتني التأكيد على أن كل آية كريمة تحمل بين ثناياها قيمة تربوية، فكل القرآن خير وهدى ونور:

فقوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[البقرة: ١١٠] فيه توجيه إلى الالتزام بأركان الإسلام جميعها، وصرح هنا بركني الصلاة والزكاة، ويشمل الباقي لفظ (الخير)، فلا خير أعلى من الالتزام بأركان الإسلام كلها.

وقوله تعالى: ﴿**يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾[البقرة: ٢٧٦]، وقوله عزّ وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[البقرة: ٢٧٨]، يحرمان الربا، وفيهما قيمة تربوية وهي النزاهة عن المال الحرام، والحرص على المال الحلال.

وقوله سبحانه: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾[البقرة: ١٤٤] إلزام باستقبال الكعبة عند الصلاة، وفيه قيمة تربوية تتمثل في إحسان الله تعالى إلى عباده المؤمنين، وحث لهم على عدم التأثر بالأراجيف التي تُردد من هنا أو هناك.

وقوله عزّ وجل: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾[البقرة: ١٥٥] فيه نص على سنة الابتلاء، وما يتعرض له المؤمن في سبيل دينه، فالباطل لا يقبل الحق، بل يبادر إلى محاربته والتضييق على أهله، والقيمة التربوية تظهر في تحفيز

المؤمنين على الثبات والصبر والرضا بما قدره الله تبارك وتعالى واليقين بأن فيه حكمة بالغة، من مظاهرها حسن العاقبة.

والآيات عديدة وكثيرة في سورة البقرة وغيرها، لا يقوى بحث كهذا على استيعابها، ولذا كان لابد من انتقاء آيات أرى أنها محققة لتربية المجتمع المسلم المنشودة شرعـًا، وقد يختلف معي في ذلك باحث أو أكثر، فذلك حقهم، فكل آية في القرآن تنطوي على هدايات وأدبيات وتربويات يفتح الله بها على عباده.

حدود البحث:

يتحدد البحث بأمرين:

الأول هو الجانب التربوي، وتم التركيز على طائفة من القضايا التربوية التي تكون شخصية المجتمع المسلم، مع التأكيد على أن كل آية في القرآن الكريم تسهم في هذا الجانب، ولكن الباحث لايسعه في هذا البحث استيعابها ودراستها.

والثاني: الآيات المنتقاة من سورة البقرة، مع إيراد ما يعززها –قدر الأمكان– من الآيات الأخرى ذات الصلة.

منهج البحث:

المناهج البحثية الأكثر تناسبـًا مع مفردات البحث منهجان: المنهج الاستقرائي الذي يعين على الاطلاع على الآيات القرآنية وانتقاء بعضها. والمنهج التحليلي للوصول إلى المضمون التربوي الذي اشتملت عليه تلك الآيات الكريمة.

التمهيد

عنوان البحث ينص على مصطلحي: التربية و المجتمع، وجريان الدراسة فيه يوضح أنها دراسة قرآنية، ولذا فمن المناسبة -في تقديري- التعريف الموجز بالمصطلحين: التربية و المجتمع. وأما القرآن الكريم فهو: "كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه ومعناه، المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس"(١)، وهو غني جداً عن التعريف ولاسيما في مثل هذه البحوث الموجزة.

أولاً: تعريف التربية لغة واصطلاحاً

تدل المعاجم اللغوية على أن التربية مشتقة من (ر ب و) ومعناها الأساس: الزيادة والنماء والارتفاع، ويتضمن معنى: علو النفس، والنشأة(٢)، وأصبح لها دلالات معاصرة منها: التعليم والتثقُّف والتهذيب، يقال: "ربّى الأبُ ابنَه: هذّبه ونمّى قواه الجسميّة والعقليّة والخلقيّة كي تبلغ كمالها"(٣).

وأما في الاصطلاح، فقد لحظت توجه عدد ممن كتب في أصول التربية وأساليبها إلى الطفل، وبما أن البحث يتناول المجتمع المسلم؛ فقد اتجهت إلى التعريفات التي تشمل عباراتها كافة أفراد المجتمع، لأن التربية عملية متكاملة يحتاج إليها الصغير للتنشئة السوية، ويحتاج إليها الكبير للتذكير والتقويم، ومما وقفت عليه من التعريفات القابلة لهذين الجانبين:

---

(١) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام للرحيلي ١/ ٣٥.

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٤٨٣ مادة (ربى/ أ).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار وآخرون ٢/ ٨٥٢ مادة (ربو).

التعريف الذي ذكره البيضاوي للتربية عند تفسيره لـ (الربّ) قال: "وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا"[1]، وهو تعريف يصدق على الفئتين: الصغار والكبار.

وأورد د. سعيد علي تعريفًا للتربية الإسلامية قال فيه: "هي مجموع الأصول الخاصة ببناء الإنسان المسلم والواردة في الكتاب والسنة، والآراء والتطبيقات التربوية التي ترعاها الجهود الفردية والجماعية في أي زمان أو مكان، بهدف بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة النمو في جميع مراحل حياتها التي تعمل لخير دنياها وأخرتها"[2]. وهو تعريف يتماشى مع وجه البحث الذي بين أيدينا.

ثانياً: تعريف المجتمع:

المجتمع في اللغة مشتقّ من (جَمَع) ويعني تَضامُّ الشيء، أو: اجتماع شيءٍ إلى شيء[3].

والـجَمْع: يطلق على جَماعة الناس كما في قوله تعالى: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ**﴾[القمر: ٤٥]. إلا أن كلمة (المجتمع) تقتضي وجود مكان محدد اجتمع فيه الناس، بالإضافة إلى وجود علاقات بينهم وروابط ونظام.

ولذا عُرِّف (المجتمع) اصطلاحًا بأنه: «عدد هائل من الأفراد، جمعت بينهم روابطُ وأهدافٌ مشتركة، واستقروا في أرض، والتزموا بعُرْفٍ، أو قانون»[4]، فإن كان الأفراد مسلمين، وكان النظام هو الإسلام؛ صار (مجتمعًا إسلاميًا).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ١/ ٢٨.

(٢) مدخل إلى التربية الإسلامية لسعيد إسماعيل، ص ٦٢.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور ٨/ ٥٣ مادة (ج م ع).

(٤) المجتمع والأسرة في الإسلام للجوابي، ص: ١٤.

ثالثاً: سورة البقرة

يذكر علماء التفسير وعلوم القرآن أن سورة البقرة هي أول سورة نزلت في المدينة المنورة على قول الحسن البصري ومجاهد وعكرمة وجابر بن زيد وغيرهم، عدا آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[البقرة: ٢٨١] نزلت بمكة في حجة الوداع(١)، ولا يؤثر ذلك على مدنيتها على أشهر الأقوال(٢).

ومما ورد في فضلها قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اقرؤوا القرآن. فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران. فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان. أو كأنهما غيايتان. أو كأنهما فرقان من طير صواف. تحاجان عن أصحابهما. اقرؤوا سورة البقرة. فإن أخذها بركة. وتركها حسرة. ولا يستطيعها البطلة"(٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة"(٤).

---

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ١/ ٢٤.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ٣٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٥٥٣ برقم ٢٥٢ – (٨٠٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٥٣٩ برقم ٢١٢ – (٧٨٠).

مسائل تربية المجتمع المسلم وتطبيقاتها

بعد التأمل في الموضوعات التي سيتم تناولها تحت عنوان (تربية المجتمع المسلم) وإجراء الدراسة من خلال آياتٍ قرآنية كريمة منتقاة من سورة البقرة، اخترت تقسيم موضوعات البحث إلى مسائل عوضاً عن مباحث، ليسهل علي دراستها. وذلك وفق الآتي:

المسألة الأولى: التربية على الثبات والاستمساك بالحق

ينبع هذا الخلق من ترسّخ الإيمان في النفوس، فطريق المسلم في هذه الحياة فيه امتحان وابتلاء، والعوائق المبتغية زعزعة الإيمان في نفوس المسلمين ألوان متعدد، قال تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة: ١٠٩]، فالحسد الذي تمكن من نفوس أهل الكتاب وبخاصة اليهود دفعهم إلى تشكيك المسلمين في دينهم وتشريعاته ما أمكن، ومن ذلك ما تقدم في أمر القِبْلة، وكذا استخدامهم (راعنا) بمعنى السبّ، وأمور كثيرة تحدث عنها أهل السير: تأليباً وإرجافاً وتشبيباً بأعراض المسلمين، ونقضاً للعهد وغير ذلك، وهو عوائق بذلها هؤلاء لرد المسلمين عن دينهم دل عليها معنى قوله تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا**﴾.

وإضافة إلى ذلك وردت آيات كريمة تتحدث عن جملة من الابتلاءات والعوائق منها:

١- قوله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾[البقرة: ١٥٥]، فهذا إخبار من الله تعالى للمجتمع المسلم

المتبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مبتليهم وممتحنهم بشداد من الأمور ليعلم من يتّبع الرسول حقاً ممّن ينقلب على عقبيه[1]. وإنما تقدم إخبارهم بذلك ليوطّنوا أنفسهم على الصبر على هذه الابتلاءات إذا وردت، فيكون ذلك أبعد لهم عن الجزع، وأسهل عليهم بعد الورود، الأمر الذي سيعينهم على الثبات والتمسك بالدين واتباع النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثَمّ تنكسر نفوس الكفار، ويداخلها اليأس من التأثير على المسلمين، وربما كان في ذلك مدعاة للإقصار من عدائهم، والنظر والتأمل في الحق وبراهينه.

كما أن من شأن الابتلاء التمحيص، وتمييز الصادق في إيمانه عن الكاذب، فإن المؤمن يصبر عند البلاء ويثبت على دينه ويتشبث به، أما المنافق فسرعان ما يخذل ويتخلى عما أظهر من الدين، وينقلب على عقبيه.

٢- قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ**﴾[البقرة: ٢١٤].

وفي هذه الآية تأكيد على سنة الابتلاء والاختبار، ولا يخفى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكثر الناس ابتلاءً، وحالهم مع الابتلاء والاختبار الثبات والصبر في أعلى صوره وأحواله، فإذا بلغ بهم الجهد الغاية في الشدة؛ تساءلوا عن النصر، مع استمرار الحال على الثبات واليقين بوعد الله تعالى، عندئذٍ يتنزل النصر إجابة لطلبهم: ﴿**أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ**

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي ٤/ ١٢٨-١٢٩.

قَرِيبٌ﴾[1]، فكأنه قيل: وأنتم يا معشر المؤمنين؛ اقتدوا برسل الله تعالى، وتحملوا الأذى والمشقة في طلب الحق والثبات عليه، فإن نصر الله آت[2]، ومدّخر لمن يستحقونه، ولا يستحقه إلا أهل الثبات والصبر المداومون على الطاعة، لا يشكون في دينهم ولا في وعد ربّهم جل وعلا، ويعلمون يقيناً أن العاقبة للمؤمين.

المسألة الثانية: التربية المانعة من التلاعب بالأحكام

الاحتيال على الأحكام الشرعية محرم في ذاته، فضلاً عن أنه طريق إلى الوقوع في محرمات أخرى، وهو سلوك مناقض لمبدأ سدّ ذرائع الفساد الذي سبق معنا آنفاً، والذي من شأنه تجنب الممنوع بكل ممكن، كما أن الاحتيال معطلٌ للأحكام الشرعية التي شرعت لصالح العباد، وإعمالٌ للهوى بحيث تصير الأحكام كالآلة المعدة لاقتناص أغراض المحتال. يقول الشاطبي –بعد أن تحدّث عن واجباتٍ ومحرّماتٍ مرتبةٍ على أسبابٍ–: "فإذا تسبب المكلف في إسقاط ذلك الوجوب عن نفسه، أو في إباحة ذلك المحرم عليه بوجه من وجوه التسبب حتى يصير ذلك الواجب غير واجب في الظاهر، أو المحرم حلالاً في الظاهر أيضاً؛ فهذا التسبب يُسَمّى حيلة وتحيلا"[3]، ثم قال: "الحِيَل في الدين بالمعنى المذكور غير مشروعة في الجملة، والدليل على ذلك ما لا ينحصر من الكتاب والسنة، لكن في خصوصاتٍ يفهم من مجموعها منعها والنهي عنها على القطع"[4].

---

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي ٦/ ٣٧٩.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) الموافقات للشاطبي ٣/ ١٠٧.

(٤) المصدر السابق ٣/ ١٠٩.

وبما أن التحيل غير لائق بالمسلم الذي يراد له أن يحمل هذه الشريعة، ويكون قدوة للآخرين، وناشراً للخير، وذابّا عن الدين، لذا –والله أعلم– تعددت الأدلة المبينة لدواعي تحريم التحايل وجعله صفة سيئة من صفات المنافقين، وكان منها في سورة البقرة ما يأتي:

١– أن التحايل فيه مخادعة من لايجوز عليه الخدع، قال تعالى –متحدثاً عن المنافقين–: ﴿**يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[البقرة: ٩].

٢– أن الضرر يعود لا محالة على المحتال، فضرر مخادعة المنافقين كما في الآية الكريمة الآنفة عائد عليهم ﴿**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ**﴾، حيث فضح الله تعالى أسرارهم، وأفقدهم الأمن، وبثّ في قلوبهم الرعب، وتوعدهم بالعذاب في الآخرة. وينسحب هذا على كل متحيّل على دين الله تعالى في أي زمان ومكان.

ومصداق ذلك أن اليهود من قَبل لـمّا احتالوا للصيد يوم السبت عجّل الله تعالى لهم العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، قال عزّ وجلّ: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[البقرة: ٦٥–٦٦].

٣– أن المحتال يعامل بنقيض قصده، قال ابن القيم: "ولا ريب أن من تدبّر القرآن والسنة ومقاصد الشرع جزم بتحريم الحِيَل وبطلانها، فإن القرآن دلّ على أن المقاصد والنيّات معتبرة في التصرف والعادات"[(١)]. ومن تلك الأحكام التي عومل فيها المحتال

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٦٤٢.

بنقيض قصده:

- قوله تعالى في آية الرجعة من الطلاق: ﴿**وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا**﴾[البقرة: ٢٣١]، قال ابن القيم: "وذلك نصّ في أن الرجعة إنما تثبت لمن قصد الصلاح دون الضّرار، فإذا قصد الضّرار لم يملكه الله الرجعة"(١)، وصورة المضارة أن يطلقها حتى تشارف انقضاء العدة ثم يراجعها، ثم يطلقها حتى تشارف انقضاء العدة في المرة الثانية، وهكذا لا يراجعها لغرض له فيها سوى الإضرار بها(٢).
- قوله تعالى في آية الفرائض: ﴿**مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ**﴾[النساء: ١٢]، ودلالته هي أن الوصية إن كان فيها إضرار كأن يوصي بأكثر من الثلث، أو يوصي لوارث بقصد حرمان بعض الورثة، عندئذ تحرم الوصية، وللوارث إبطالها(٣).

المسألة الثالثة: التربية بقطع ذرائع الفساد

- الذريعة في اللغة مشتقة من (ذَرَع) وهو "أصل واحد يدل على امتداد وتحرك إلى قُدُم"(٤)، وتطلق الذريعة أيضـًا على الناقة التي يتستر بها الرامي ليرمي بها صيده(٥).
- وعرف القرطبي الذريعة شرعـًا بأنها: "أمر غير ممنوع لنفسه، يخاف من ارتكابه

(١) المرجع السابق ١/ ٦٤٣.

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ١/ ٢٠٤.

(٣) الموافقات للشاطبي ٢/ ٣٨١.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٣٥٠.

(٥) انظر: المصدر السابق.

الوقوع في ممنوع"[١]. وقال الشاطبي: "وهو أصل مقطوع به على الجملة، قد اعتبره السلف، فلابدّ من اعتباره"[٢].

- وعليه فإن الذريعة بالمفهوم اللغوي تحتمل أن تكون وسيلة محرّم، كما تحتمل في الوقت ذاته أن تكون وسيلة إلى فعل حلال أو مباح، إلا أن التعريف الشرعي وعبارة الشاطبي وغيرهما من العلماء تشعر بغلبة هذا الاصطلاح على ما أفضى إلى محرّم، وهو ما نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال: "والذريعة ما كان وسيلة وطريقـًا إلى الشيء، لكنها صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرّم"[٣].
- ومعنى سدّ الذرائع -كما قال القرافي- "حسم مادة وسائل الفساد دفعـًا لها"[٤]، وهذا النوع من القسم الثاني الذي ذكره القرافي وهو الذي أجمع العلماء على سده[٥]، ومن الأدلة عليه في سورة البقرة أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم بـ (راعنا) سدًّا لذريعة السّبّ التي يقصده اليهود، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ**

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٢/ ٥٧-٥٨. وانظر: الموافقات للشاطبي ٢/ ٥٢٨.

(٢) الموافقات للشاطبي ٢/ ٥٢٨.

(٣) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٦/ ١٧٢.

(٤) الفروق للقرافي ٢/ ٣٢.

(٥) انظر: الفروق للقرافي ٣/ ٢٧٤، وقد قسّم الذرائع إلى ثلاثة أقسام: الأول: ما أجمع الناس على عدم سدّه كزراعة العنب، لم يمنع منها خشية اتخاذه خمراً. والثاني: ما أجمعوا على سدّه. والثالث: ما اختلف فيه العلماء كالنظر إلى المرأة الأجنبية من حيث إنه ذريعة إلى الزنا، فمالك يجيز النظر بغير شهوة، وغيره يمنعه.

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٠٤]، فكلمة (راعنا) متداولة عن العرب بمعنى: أرعني سمعك[١]، قال النسفي: "كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ألقي إليه شيء من العِلم: راعنا يا رسول الله، أي راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه"[٢]، وكانت في كلام اليهود تعني الاستهزاء والمسبّة، فكانوا يأتون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون: يا محمد راعنا، ويضحكون، فنُهي المؤمنون عنها، وأمروا بما هو في معناها وهو (انظرنا) سدّا لمقصد اليهود من الاستهزاء والمسبّة[٣].

- ودلّ أيضاً على هذا الأصل أوامر وأحكام شرعية أخرى، كالمنع من سبّ الأصنام عند من يعلم أنه يسبّ الله، قال سبحانه: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وكذا حدّ الحدود سدّا للذريعة إلى الجرائم[٤]. وأمْر النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلّوا جلوساً إذا صلّى الإمام جالساً "سدًّا لذريعة التشبّه بفارس والروم في قيامهم على ملوكهم وهم قعود"[٥]، وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بايع المسلمون تحتها في الحديبية، وإخفاء قبر النبي دانيال، سدّا لذريعة الشرك[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢/ ٣٧٣.

(٢) التيسير في التفسير للنسفي ١/ ٦٧.

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي، ص ٣٣. وتفسير الطبري ٢/ ٣٤٧.

(٤) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٦٣٢.

(٥) المصدر السابق ١/ ٦٢٨-٦٢٩.

(٦) انظر: المصدر السابق ١/ ٦٣٠.

المسألة الرابعة: التربية المالية

الالتفات إلى الجانب المالي وتربية المجتمع المسلم على الانضباط مالياً أمر بالغ الأهمية، لأنه مجال التظالم من جهة، ولأن المال عصب الحياة وقوة للمجتمع من ناحية أخرى، فبدهي أن تتوجه التربية القرآنية لهذا النوع، لبناء مجتمع مسلم قوي وغني ومتماسك، ومما ورد في هذا الجانب ما يأتي:

١- **التوجيه إلى الاكتساب**: وتظهر أهميته من جهة أن المال عصب الحياة، وسبب لقوة المجتمع المسلم، ووسيلة إلى كثير من الطاعات كالصدقة والهبة وإغاثة الملهوف وغيرها من القُربات.

وقد جرت سنة الله تعالى في هذا الكون بربط الأسباب بالمسببات، ومن ذلك أن جعل سبحانه وتعالى الاكتساب سبباً لحصول الرزق، وأبان للإنسان الارتباط بينهما في عدد من الآيات الكريمة، فضرب الحجر سبب للسقيا كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[البقرة: ٦٠]، وهزّ الجذع سبب لتساقط الثمر كما قال سبحانه: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾[مريم: ٢٥]، والأسباب المذكورة في هاتين الآيتين يسيرة وغير كافية من منظور الإنسان، ولكن ثمت توجيه وتعليم: ابذل أيها المسلم ما تستطيع، وسيأتيك ما قدّر الله لك من الرزق وغيره.

ولاشك أن الاكتساب من الضرورات التي للإنسان حظ عاجل فيها، وباعث من نفسه يستدعيه إلى طلب ما يحتاج إليه، وربما حمله على ذلك قهراً ؛ لذا ندبت الشريعة إلى الاكتساب وحثت عليه كما في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ**

وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ﴾[الجمعة: ١٠]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"(١)، وتأكيداً على ذلك لم يجعل للقادر على الاكتساب حظاً في الزكاة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تَحِل الصَّدقةُ لغنيّ، ولا لذي مِرَّةٍ سَويٍّ"(٢).

ولما في الاكتساب من تربية على عزة النفس والاعتماد على الذات وقوة الإرادة والتغلب على نوازع الكسل والاتكال على الآخرين؛ أقيمت العديد من الدلائل الحاثة على الاكتساب، ومن تلك الدلائل في سورة البقرة:

أ- لفت النظر إلى توافر الأرزاق وإمكان الحصول عليها، قال تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ**﴾[البقرة: ٢٢]، والآية هذه وإن كانت آمرة بتوحيد الله تعالى استدلالاً بكمال قدرته سبحانه وتفرده بالتصريف والتدبير، إلا أنها تتضمن توجيهاً جلياً في الإفادة من هذه الأرزاق، واستثمارها في طاعة الله تعالى، قال ابن عطية: "وهذه الآية تعطي أن الله تعالى أغنى الإنسان بنعمه هذه عن كل مخلوق، فمن أحوج نفسه إلى بشر مثله بسبب الحرص والأمل والرغبة في زخرف الدنيا فقد أخذ بطرف من جعل لله ندًّا"(٣).

ومن الآيات الأخرى الدالة على توفّر الرزق قوله سبحانه: ﴿**وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾[البقرة: ١٦٤]، فرزق الإنسان متوافر حيث أهبط،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٥٧ برقم ٢٠٧٢.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٧٦ برقم ١٦٣٤ وإسناده قوي. والترمذي في السنن ٢/ ٣٥ برقم ٦٥٢ وقال: حديث عبدالله بن عمرو حديثٌ حسن.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ١٠٦.

وحاجته إليه قائمة؛ فلابدّ إذاً من السعي لاكتسابه.

ب- بيان قدرة الإنسان على الاكتساب، فالله تعالى حين خلق الإنسان أعطاه العِلم الذي يصلح به معاشه، قال سبحانه: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾[البقرة: ٣١]، والأسماء هي: "الألفاظ والمعاني مفرداتها ومركّباتها"(١)، كما وهبه القدرة على الكسب، فقوله سبحانه: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ**﴾[البقرة: ٣٥] فيه إشارات إلى الاكتساب، فالأكل من ثمار الجنة يستلزم السعي والاقتراب والتناول، وهذه هي الأسباب الطبيعية لتحصيل الرزق.

كما يشير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ**﴾[البقرة: ٢٦٧] إلى أن الاكتساب وسيلة لاجتماع المال، فالزكاة لا تخرج إلا من نصاب حددته النصوص الشريعة.

وعليه فإن كسب الرزق الحلال مشروع في الإسلام ومرغب فيه ومحبّذ فيه، ومن آثاره التربوية: "الشغل بالأمر المباح عن البطالة واللهو وكسر النفس بذلك، والتعفف عن ذلة السؤال والحاجة إلى الغير"(٢)، ومن هنا يرى العلماء أن الناس آثمون إن هم اجتمعوا على ترك العمل، يقول الشاطبي: "فجعل -أي الشرع- الاحتراف والتكسّب على الجملة مطلوبـًا طلب الندب لا طلب الوجوب... مع أنا لو فرضنا أخذ الناس له كأخذ المندوب بحيث يسعهم جميعـًا الترك لأثموا، لأن العالَم لا يقوم إلا بالتدبير

(١) المفردات للأصفهاني، ص٤٢٨.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٤/ ٣٠٤.

والاكتساب"[1].

٢- **الحث على الإنفاق في سبيل الله**، وقد ورد في سورة البقرة بأسلوب الخطاب كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[البقرة: ١٩٥]، وعن طريق ضرب الأمثال، وأورد هنا مَثَلين على ذلك هما:

الأول: قوله تعالى: ﴿**مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[البقرة: ٢٦١].

ومجمل ما دل عليه المثَل هو أن الله تعالى ضربه مثلاً لمضاعفة ثواب من أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، فشبّه نفقة الباذلين بالحبة، أو شبه المنفِقِين بباذر حبة أخرجت نبتةً فيها سبع سنابل، كل سنبلة فيها مئة حبة، فذلك المنفق ماله في سبيل الله، له أجره سبعمئة ضعف على الواحد من نفقته[2].

وظاهر قول الربيع بن أنس تخصيصُ الصحابة بهذا المثل حيث قال: "فكان من بايع النبي صلى الله عليه وسلم على الهجرة ورابط مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، ولم يَلْق وَجْها إلا بإذنه؛ كانت له الحسنة بسبعمئة ضعف، ومن بايع على الإسلام كانت له الحسنة عشر أمثالها"[3].

---

(١) الموافقات للشاطبي ٢/ ٣٠٦. وعلق عليه الشيخ عبدالله دراز في الحاشية بأنه ليستقيم هذا الحكم لابد أن يقال: "إن هذا من المندوب بالجزء، الواجب كفاية بالكُلّ... فيصبح التأثيم بترك الكل مع كونه مندوباً بالجزء".

(٢) انظر: تفسير الطبري ٤/ ٦٥١. وتفسير ابن كثير ١/ ٦٩١.

(٣) تفسير الطبري ٤/ ٦٥٢.

وفسّر طائفة من المفسرين قوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ بأنه أبواب البِرّ كلها[١]، وقال ابن عطية: "وسبل الله كثيرة، وهي جميع ما هو طاعة وعائد بمنفعة على المسلمين والمِلّة، وأشهرها وأعظمها غناءً الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا"[٢].

والثاني: قوله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[البقرة: ٢٦٥].

وهذا مَثَل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص، ولنفقته السليمة من المَنّ والأذى، ومعناه: مثل الذي ينفقون أموالهم في سبيل الله للجهاد أو غيره من أبواب البرّ والخير ابتغاء مرضاة الله ويقينا من أنفسهم بوعد الله تعالى وثوابه لهم؛ كمثل بستان بربوة: إذا أصابه مطر كثير حمل ضعفي ما يحزر في مثله، وإن أصابه مطر قليل كفاه لكَرَم منبته، لا تُخْلِف ثمرته مع القليل كما لا تُخْلِف مع الكثير، وكذلك نفقة المؤمن المخلص لا تخيب، فلا يبور عمله ولا يُخْلِفه أجره قليلةً كانت نفقته أم كثيرة[٣]، يقول ابن القيم: "في ذكر نوعي الوابل والطّلّ إشارة إلى نوعي الإنفاق الكثير والقليل، فمنهم من يكون إنفاقه وابلاً، ومنهم من يكون إنفاقه طَلًّا، والله لا يضيع مثقال ذرّة"[٤].

وفي ذلك حثّ للمؤمن على المداومة على الإنفاق ولو بالقليل، يقول الماوردي: "أراد بهذا ضرب المثل أن كثير البِرّ مثل زرع المطر كثير النفع، وقليل البِرّ مثل زرع الطّلّ

(١)انظر: النكت والعيون للماوردي ١/ ٣٣٦. وزاد المسير لابن الجوزي ١/ ٢٣٨.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٣٥٥. وانظر: الأمثال في القرآن لابن القيم، ص٥٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٤/ ٦١٧، ٦٧٢، ٦٧٧. والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٣٦٠. تفسير ابن كثير ١/ ٦٩٥.

(٤) الأمثال في القرآن لابن القيم، ص ٥١.

قليل النفع، ولا تدع قليل البرّ إذا لم تفعل كثيره، كما لا تدع زرع الطلّ إذا لم تقدر على زرع المطر"[1].

٣- **الإنفاق في سبيل الله وتجنب المنّ والأذى في الصدقات**، فقد امتدح الله تعالى المؤمنين الباذلين في سبيله أموالهم وأنفسهم، ووعدهم على ذلك الأجر العظيم فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[التوبة: ١١١]، وفي آية أخرى جعل سبحانه الإنفاق في سبيله صفة الصادقين من عباده فقال عزّ وجل: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾[الحجرات: ١٥].

وأما في سورة البقرة فقد ورد الحث على الإنفاق في سبيل الله بنوعية: إنفاق الفرض وهو الزكاة الواجبة، وإنفاق التطوع، ومن الآيات المعنية بذلك قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[البقرة: ٢٤٥]، وقوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[البقرة: ٢٥٤]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة: ٢٧٤].

فبذل المال في سبيل الله يقع في يد الله تعالى أولاً، لذا قال سبحانه ﴿**مَّن ذَا الَّذِي**

(١) النكت والعيون للماوردي ١/ ٣٤٠.

يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، ولا يكون حسنـًا إلا إذا صُرف في وجهه وأعطي لمستحقه، وإذا ما التزم المجتمع المسلم بذلك ازداد قوة وتماسكـًا، وأصبح مجتمعـًا متحابـًا يسوده التعاون والتكافل والتوادّ والتراحم، فتقوى الروابط الاجتماعية، وتتوثق عرى الأخوة.

كما أن الزكاة تزكي نفس الباذل وتطهّرها، وتذكره بنعمة الله تعالى عليه، وتواسي الآخذ وتسد خلته وتستر عورته، فيستحق المعطي على ذلك الأجر والثواب العظيم.

ولكن حتى يثبت ذلك الأجر ويستقر في صحيفة الباذل، نبّهت الآيات الكريمة إلى ضرورة الإحسان في النفقة، وإخراجها على وجهها المشروع، والبعد عما يفسدها من المنّ والأذى، ومن تلك التوجيهات في سورة البقرة ما يأتي:

أ- ترتيب الأجر على الصدقة التي لا يتبعها منّ ولا أذى، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة: ٢٦٢].

ب- تفضيل ردّ السائل بالـحُسنى على الصدقة التي يتبعها أذى، قال تعالى: ﴿**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾[البقرة: ٢٦٣].

ت- إبطال ثواب الصدقة التي يَتْبعها مَنّ أو أذى، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[البقرة: ٢٦٤]، قال أبو حيان: "لما شرط -يعني الله تبارك وتعالى- في الإنفاق ألا يُتْبع مَنًّا ولا أذى؛ لم يكتف بذلك حتى جعل المنّ

والأذى مبطلاً للصدقة، ونهى عن الإبطال ليقوى اجتناب المؤمن لهما"[1]، كما أن في الآية تشبيهًا لفعل المؤذي في النفقة بفعل الكافر أو المنافق الذي يرائي في نفقته، فكلاهما يشتركان في أن الصدقة لم يُرَد بها وجه الله تعالى، ومن ثَمّ لا تستحق أجراً، بل تستوجب عقاباً مع فقدان المال المنفق.

والـمَنّ "هو إظهار الاصطناع إليهم، والأذى شكايته منهم بسبب ما أعطاهم"[2]، وهما يعكسان نفسية راغبة في الاستعلاء على الآخذ وإذلاله وكسر قلبه، مع لفت أنظار الناس إليه، وبالتالي يكون ذلك الإنفاق أذى للواهب من حيث انكشاف دخيلة نفسه وما انطوت عليه من سوء خلق، مع أمارات الكِبر والبعد عن الله تعالى، كما أنه أذى للآخذ من حيث ما يلحقه من الإذلال وكشف ما يستره عن الآخرين من رِقة الحال وقِلة ذات اليد.

لذا –والله أعلم– فضل الله تعالى القول الجميل والدعاء للسائل وستر حاجته وخُلّته على الصدقة التي يتبعها أذى[3]، لأن ضررهما وإثمهما أكبر من ثواب الصدقة، فيذهب الثواب وتبقى الملامة والعقاب.

ث– إخراج الزكاة من أوسط المال، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[البقرة: ٢٦٧]، والخبيث:

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٦٦٢.

(٢) التفسير الكبير للرازي ٧/ ٤١.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٤/ ٦٥٧.

الرديء غير الجيد، ومثّل له المفسرون بالدرهم الزَّيْف، والحشف من التمر، وسيء الثمار[١]، وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت في أناس من الأنصار أدخلوا علقوا حشفا من التمر في سارية المسجد لأكل منه الفقراء، فعاب الله عليهم ذلك ونهاهم عنه، فلما أوجب سبحانه زكاة المال؛ أمر بإخراج الجيد عن الجيد، وأن لا يستبدل به الرديء، فلو أنها كانت مقاضاة أو مواهبة لما قبِلوا ذلك إلا عن كراهية وغض للبصر، أو حطّ من قيمته، فلا يليق بهم إذْ لم يرضوه لأنفسهم أن يرضوه لله سبحانه[٢].

المسألة الخامسة: التربية على أدب التعامل مع الله تعالى ومع رسوله - صلى الله عليه وسلم

التعبير الأفضل فيما يظهر لي – والله أعلم- أن يقال هنا: وجوب الأدب مع الله تعالى ومع رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، فهو أمر لازم ومطلوب من كل مسلم ومسلمة وفي جميع الأحوال التي يكونون عليها، فهو عماد الصلة بين العبد وربه، ومما يدل على لزوم هذا الأدب:

١-مسارعة آدم عليه السلام إلى التوبة، قال تعالى: ﴿**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة: ٣٧]، "والتوبة من الله تعالى الرجوع على عبده بالرحمة والتوفيق، والتوبة من العبد الرجوع عن المعصية، والندم على الذنب، مع تركه فيما يستأنف"[٣].

وذلك أن الله تعالى حين أسكن آدم وزجوه حواء عليهما السلام الجنة؛ نهاهما عن

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٥٢٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٤/ ٦٩٩، ٧٠٦.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ١٣١.

الأكل من شجرةٍ فيها، فأزلّهما الشيطان فأكلا منها، وخالفا أمر الله سبحانه، فلما شعر آدم عليه السلام بذنبه بادر إلى التوبة واستغفر ربه منه، فكان إقراره بالذنب أدبًا مع الله سبحانه، وإذعانًا لقيام الحجة عليه[1]. قال ابن قتيبة: "كأن الله أوحى إليه أن يستغفره، ويستقبله بكلام من عنده، ففعل ذلك آدم، فتاب عليه"[2].

٢-مبادرة الخليل إبراهيم عليه السلام بالاستجابة لله تعالى، ويظهر ذلك مما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[البقرة: ١٣٠-١٣١].

فهذا النص الكريم يظهر جانبًا من أدب إبراهيم عليه السلام مع ربه عزّ وجلّ في سرعة الانقياد والخضوع له، فما أن جاءته الدعوة حتى بادر بالاستجابة، دون أن يتعذر بالتفكير أو المراجعة أو التروي، فهو يعلم عظيم قدر الله تعالى، ويستحضر كمال علمه وحكمته، فالاستجابة الفورية هي مقتضى الحكمة وعلامة كمال الأدب مع الله تعالى.

والمراد بقوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ**﴾ الأمر "بالانقياد لأوامر الله تعالى، والمسارعة إلى تلقيها بالقبول، وترك الإعراض بالقلب واللسان"[3].

٣- حُسْن مخاطبة الملائكة لله تعالى، حيث قال سبحانه -فيما يذكره عنهم-: ﴿**قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[البقرة: ٣٢]، ويبدو

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي ١/ ٢٩٥.

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة، ص ٤٦.

(٣) التفسير الكبير للرازي ٤/ ٦٣. وهنالك أقوال أخرى لدى المفسرين في معنى الآية.

الأدب وحسن الخطاب من ابتدائهم بالثناء على الله تعالى: ﴿**سُبْحَانَكَ**﴾، وردّهم العلم الكامل لله تعالى، وإرجاع ما عندهم من علم إلى علمه سبحانه، وكل ذلك صدر عن الملائكة عليهم السلام في قالب من التواضع والأدب، ففي الآية كما قال الألوسي: "ثناء عليه تعالى بما أفاض عليهم، مع غاية التواضع، ومراعاة الأدب، وترك الدعوى"(١) وفيه توجيه لأفراد المجتمع المسلم ليتخلقوا بهذا الخلق في تعاملهم مع الله تعالى، ويستحضروه في كل حين.

ويتجلّى من دلالات هذه المشاهد الثلاثة أن الأدب مع الله تعالى يعود بخير عظيم على الإنسان، فبهذا الخلق وغيره أصبح إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا**﴾، وقال سبحانه: ﴿**وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**﴾[النساء: ١٢٥]، كما أصبح أبو بكر رضي الله عنه أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتجدر الإشارة إلى أنه من توابع الأدب مع الله تعالى؛ الأدبُ مع أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فقد نهى الله عن الإكثار من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم، وبخاصة ما لا خير فيه، حيث قال سبحانه: ﴿**أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾[البقرة: ١٠٨]، فهذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور لا خير لهم في البحث عنها أو تعلمها، كما صنع بنو إسرائيل مع موسى عليه السلام من قبل، فكرهه الله

(١) روح المعاني للألوسي ١/ ٢٢٨.

لهم، وعاتبهم على فعله[1].

وجاء الأمر الصريح بالتأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[الحجرات: ٢-٥].

ويقابل ذلك أن إساءة الأدب مع الله تعالى ومع أنبيائه جالبة لسخط الله وعقابه، فبنو إسرائيل حين تطاولوا على مقام الألوهية أخذتهم الصاعقة، قال سبحانه: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾[البقرة: ٥٥]، ولـمّا نسبوا موسى عليه السلام إلى (الهُزء) حينما قالوا – فيما يذكره القرآن عنهم-: ﴿**أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا**﴾[البقرة: ٦٧] كان من تبعات ذلك أن شدد الله تعالى عليهم حتى أغرمهم وكاد أن يعجزهم.

وحاصل الأمر أن الأدب مع الله تعالى ومع أنبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام يورث محبة الله تعالى لعباده المؤمنين، وبجلب التوفيق والقبول، أما إساءة الأدب فتجلب غضبه سبحانه وسخطه، وتورث المعاصي وإظلام البصيرة والعياذ بالله تعالى.

المسألة السادسة: التربية بالقدوة الحسنة

لم يأت التصريح بالقدوة الحسن في آيات سورة البقرة، ولكن جاء ما يدل على هذا

(١) انظر: تفسير الطبري ٢/ ٤١٢-٤١٣ ورجّح هذا الوجه، مع ذكره للأقوال الأخرى الواردة في تفسير الآية.

المعنى وذلك في الآيات الكريمة الآمرة بتطابق الأقوال والأفعال، فهو واحد من أهم أخلاق الفرد المسلم، ومن أهم ما ينبغي للمجتمع المسلم أن يتحلى به ويكون من الظهور والبيان بحيث لا يخفى، فهو من السلوكات الضرورية لكل مسلم وبخاصة أهل العلم، لأنهم محط الأنظار، وقدوة للعامة، ذلك أن الأفعال تصدّق الأقوال وكلاهما ترجمة عملية لما انطوت عليه القلوب.

ومن هنا عُني القرآن الكريم -في ثنايا نصوصه الكريمة- بالحث على هذا الخلق وترسيخه، ومن مظاهر ذلك ما دلت عليه آيات كريمة من سورة البقرة هي:

١- مخالفة القول للعمل إهمال للعقل وانحراف عن الفطرة، قال تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[البقرة: ٤٤].

والخطاب هنا في غاية التقريع والتوبيخ لعلماء أهل الكتاب الذين أهملوا عقولهم ولم يستحضروها حين أمروا الناس بالخير وأرشدوهم إليه، وتركوا أنفسهم، فعمل كهذا حطّ من قدر العقل وإزراء به، إذ "المقصود من أمر الغير بالبر: النصيحة والشفقة، وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره وينسى نفسه"(١)، قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: "كان الأحبار يأمرون أتباعهم ومقلديهم باتباع التوراة، وكانوا هم يخالفونها في جحدهم منها صفة محمد صلى الله عليه وسلم"(٢).

كما أن الأمر بـ (البرّ) الذي هو "اسم جامع لأعمال الخير"(٣) ومخالفته؛ آفة توقع

(١) نظم الدرر للبقاعي ١/ ٣٦٥. وانظر: التفسير الكبير للرازي ٣/ ٤٨٧.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ١٣٦. وهناك أقوال أخرى أوردها الطبري في تفسيره ١/ ٦١٤.

(٣) التفسير الكبير للرازي ٣/ ٤٨٧.

الشك في نفوس السامعين؛ لأنهم يسمعون قولاً جميلاً ويرون عملاً قبيحـًا، فتزول الثقة ولا يبقى لكلام الموجّه والمربّي صدى في نفوس السامعين، بل إن كلمات من يخالف قولُه فِعلَه لا روح فيها ولا حياة، وهذا ما يفسّر فقدان كثير من الخطابات الرنانة والكلمات المحبوكة للتأثير. وتجد الإشارة إلى أن الكلمات المخلصة الصادرة عن القلب والتي تجري على لسان المخلصين والعلماء؛ لها تأثير في السامعين قليلاً كان أم كثيراً، إلا أن تحقق الهداية أمر يختلف عن التأثّر، وهذا ما يفسّر مجيء بعض الأنبياء – مع كمال صدقهم وإخلاصهم– وليس معهم إلا الرجل والرجلين، ويأتي بعضهم ولا أحد معه[1].

والآية هذه وإن خوطب بها أهل الكتاب؛ لكنها تتناول كل من اتصف بذلك، بل إن القرآن الكريم خاطب المؤمنين بقريب منها وربما أشدّ في قوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[الصف: ٢-٣].

٢- علامة صدق الإيمان تحقيقه عمليـًا، قال تعالى: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[البقرة: ١٧٧].

والخطاب هنا يتوجه إلى المؤمنين الذين ظن بعضهم أن التوجّه إلى الكعبة غاية البر، كما يتوجه أهل الكتاب الذين طعنوا على المسلمين في تغيير القبلة فقالوا –كما

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ١١٤ برقم ٢٤٤٨ وإسناده صحيح.

يذكر القرآن الكريم عنهم-: ﴿**مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا**﴾[البقرة: ١٤٢]، فجاء الخطاب للمؤمنين منبهًا لهم إلى أن حقيقة البرّ لا تتأتّى من استقبال القبلة وحده، بل لابد من خصال أخرى معه هي: الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإخراج الزكاة، وصلة الرحم، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين، وفك الرقاب، وإقام الصلاة، والوفاء بالعهد، والصبر في الشدائد(١).

فمن تمثلت فيهم هذه الخصال فهم الذين علت هممهم وعظمت أخلاقهم وصدقوا في دعوى الإيمان، يقول الطبري: "فمن فعل هذه الأشياء فهم الذين صدقوا الله في إيمانهم، وحققوا قولهم بأفعالهم، لا من ولّى وجهه قبل المشرق والمغرب وهو يخالف الله في أمره، وينقض عهده وميثاقه، ويكتم الناس بيان ما أمره الله ببيانه، ويكذّب رسله"(٢).

المسألة السابعة: التحذير من الابتداع

جاء الحق من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم بأنصع الدلائل والبراهين، وسطًا لا إفراط فيه ولا تفريط، آمراً بالخير كله، وناهيًا عن الشر كافة، ومن الخير أن يلتزم المسلم بما أمر الله تعالى به وما أمر به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يعضّ عليه بالنواجذ، ولا يحدث شيئًا من إيحاءات الشيطان، ولا من ميولات الهوى.

ولعلم الله تعالى أن الشيطان يستهوي الإنسان ويسعى في إضلاله فقد حذر منه واصفا حاله وما يسعى إليه وموبخًا من اتبع خطواته فقال سبحانه: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ**

(١) انظر: النكت والعيون للماوردي ١/ ٢٢٥. وتفسير البغوي ٢/ ٢٠٣

(٢) تفسير الطبري ٣/ ٩٢.

اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[الكهف: ٥٠].

وبما أن الاستقامة على دين الله أدعى وسيلة للنجاة من حبائل الشيطان؛ أمر الله تعالى رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ومن اتبعه بالاستقامة فقال: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[هود: ١١٢]، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يأمر بها ، ففي الحديث عن عبدالله بن سفيان الثقفي قال: "قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك. قال: قل: آمنت بالله، ثم استقم"(١).

وقد جاء التوجيه إلى والاتباع وعدم الابتداع بدلالة المعنى في سورة البقرة من خلال التحذير من خطوات الشيطان، وذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[البقرة: ٢٠٨]، فالشيطان من منطلق عداوته المتجذرة لآدم عليه السلام وذريته؛ لا يدعو إلا إلى الفسوق والكفر، ولا يُقصِر عن تزيين الانحراف لهم والغواية؛ لذا كان لابدّ من توجيه المجتمع المسلم إلى الاستقامة من خلال التحذير من أحابيل الشيطان ومكائده، والنصّ على عداوته، كما في هذه الآية، أو من خلال الاستدلال على حال الشيطان هذه في عدد من الآيات الكريمة، منها:

١- أمر الشيطان لبني آدم بالمعاصي وتعليمهم السحر، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا**

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٤/ ١٤١ برقم ١٥٤١٦. وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٦٨-١٦٩]، فمن إمكانات الشيطان أن يداخل النفوس مستغلّا حظوظها، فإنسان يحب معاشرة النساء؛ فيزين له الشيطان الفاحشة، ويحب المال ويكره الفقر، فيسول له الشيطان أنه إن أخرج الزكاة افتقر ليمتنع عن إخراجها، قال مقاتل: "كل ما في القرآن من ذكر الفحشاء فإنه الزنا، إلا قوله تعالى: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ**﴾[البقرة: ٢٦٨] فإنه منع الزكاة"(١).

ولمزيد من إضلال بني آدم؛ أمال الشيطان قلوب الناس لتعلم السحر والكهانة، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ**﴾[البقرة: ١٠٢].

فهذه الآيات وأمثالها استدلالات قرآنية تكشف أوجه العداوة المتجذرة في إبليس وذريته تجاه آدم عليه السلام وذريته، وبيان لطرقه في إغواء بني آدم التي صرّح بها للربّ تبارك وتعالى: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[الأعراف: ١٦-١٧]، وليدرك المسلم جانبًا من حِكمة الله تعالى حين نهى عن اتباع الشيطان، وأمر بالاستقامة على أمره سبحانه.

٢- إغواء الشيطان لآدم وحواء عليهما السلام، قال عزّ وجل: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ**﴾[البقرة: ٣٥-٣٦].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٢١٠.

فإبليس حين أُبْعِد وطُرد؛ ساءه أن يرى آدم وزوجه ينعمان في الجنة، فعزم على إغوائهما، ولجأ إلى الكذب والمكر والخداع، فمنّاهما بالخلود إذا أكلا من الشجرة، وأسماها شجرة الخلد كما أخبر الله تعالى عن ذلك في قوله: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ**﴾[طه: ١٢٠]، فأكل آدم وحواء عليهما السلام من الشجرة، وكان من تبعات ذلك أن تقع العداوة بين إبليس وبني آدم إلى أن يأتي أمر الله.

المسألة الثامنة: التربية بتحمل مسؤولية التبليغ

بدهي أن تمتاز بالعلم والمعرفة فئة من المجتمع تتوافر لديها صفات وقدرات تؤهلها لذلك، وحتى لا تُحجب الشريعة وأحكامها وتوجيهاتها التي أراد الله تعالى لها أن تكون هداية للبشرية كافة؛ عنيت آيات الكتاب ونصوص السنة المشرفة بالتوجيه إلى التعلّم ثم بذل الوسع في التعليم، وأوجبت على كل عالم أن يبلغ ما لديه من الحقّ بالقدر الذي يستطيع، وبخاصة عند الحاجة إليه وإذا خُشِي فواته، ويمكن تقسيم الآيات الكريمة في سورة البقرة الآمرة بذلك إلى العناصر الآتية:

الأول: التحذير الشديد من كتمان العلم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾[البقرة: ١٥٩].

والكتمان: "ترك إظهار الشيء مع الحاجة إليه، وحصول الداعي إليه"[1]،وهذه الآية وإن قُصد بها بنو إسرائيل الذين حرّفوا التوراة وكتموا صفة النبي صلى الله عليه وسلم؛

(١) التفسير الكبير للرازي ٤/ ١٤٠.

إلا أنها جاءت بوصف عام يتناول "كل من كتم علماً من دين الله يُحتاج إلى بثّه"[١]؛ لذا استدل بها بعض العلماء على وجوب تبليغ الحق وبيان العلم على الجُملة[٢]، وقال ابن الجوزي: "وهذه الآية توجب إظهار علوم الدين منصوصة كانت أم مستنبطة"[٣].

وأما الوعيد الشديد لكاتم الحق فجاء في مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[البقرة: ١٧٤]، ومن السّنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَن سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ، فكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ الله بلِجامٍ من نارٍ يومَ القيامة"[٤].

فمجمل هذه النصوص الشرعية موجب لإظهار علوم الدّين، وزاجر عن الكتمان. وهذا الإظهار على الكفاية، فإن كان هناك من يُبَلّغ اكتفي به، وإن تعيَّن على أحد ما لزمه، قال ابن العربي: "العالِم إذا قصد الكتمان عصى، وإذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ إذا عرف أن معه غيره"[٥].

وأما ما كَتَمه أبو هريرة رضي الله عنه وخاف على نفسه الفتنة أو القتل إن بثّه "إنما هو مما يتعلق بأمر الفتن، والنص على أعيان المرتدين والمنافقين، ونحو هذا مما لا يتعلق

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية 1/ ٢٣١.

(٢)انظر: أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٧٢.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١٢٧.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٥٠٠ برقم ٣٦٥٨ وإسناده صحيح. والترمذي في السنن ٤/ ٣٨٧ برقم ٢٦٤٩ وقال: حديث حسن.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٧٤.

بالبينات والهدى"[1].

الثاني: التنبيه إلى أن كتمان الحق وسيلة إلى الكفر، فمن أسباب الهداية –بعد توفيق الله تعالى– معرفة الحق على وجهه الصحيح وفق مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم، ونقيضه كتمان الحق أو تحريفه أو تلبيسه بالباطل؛ فإنها سُبُل إلى الضلالة والغواية.

لذا يُلحظ في الآيات الكريمة في سورة البقرة المعنية بخطاب أهل الكتاب وبني إسرائيل على وجه الخصوص أنها استفتحت بالتذكير بنعم الله تعالى والدعوة إلى التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم، والتحذير من الكفر وأسبابه، قال تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة: ٤٠–٤٢]، قال البقاعي: "ولما نهاهم عن الكفر بالآيات؛ نهاهم عن الحامل عليه"[2]. وتحدد الآيات الكريمة الحامل على الكفر بأمور ثلاثة:

١–التحريف، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾، حيث كان لأحبارهم مأكَلَة ورِشا يأخذونها من عامتهم، أو كانت ملوكهم تعطيهم الرِّشا ليغيّروا لهم بعض أحكام التوراة، فآثروها على الإسلام واتباع النبي صلى الله

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٨٦.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١/ ٣١٨.

عليه وسلم[١].

٢-تلبيس الحق بالباطل، وذلك في قوله سبحانه: ﴿**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ**﴾، ولبسهما يعني خلطهما ببعض بحيث يصعب على العامة التمييز بينهما[٢].

٣-كتمان الحق، حيث قال سبحانه: ﴿**وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ**﴾، ويكون الكتمان بإخفائه كليّةً عمن لم يسمع به[٣].

(١) انظر: الكشاف للزمخشري ١/ ١٣٢.

(٢) انظر: المرجع السابق. ونظم الدرر للبقاعي ١/ ٣١٩-٣٢٠

(٣) انظر: نظم الدرر للبقاعي ١/ ٣٢٠. وروح المعاين للألوسي ١/ ٢٤٨.

الخاتمة

دارت مسائل البحث وموضوعاته حول القضايا التربوية في آياتٍ من سورة البقرة، والمتأمل فيها يجدها تستهدف بناء مجتمع يوالي المؤمنون فيه بعضهم بعضـًا، ويصبحون "أهل كلمة واحدة لا يتفرقون"[1]، وهذا المشهد هو ما أريد له أن يظهر من خلال هذا البحث، ولعلي ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها بالآتي:

أولاً: إذا عمل بالتوجيهات التربوية القرآنية على الوجه الصحيح فإنها ستوجد أفضل مجتمع عرفته البشرية، وقد كان ذلك في وقت الصحابة رضوان الله عليهم، ويمكن أن يتكرر مشهد المجتمع المسلم القوي والملتزم والمؤثر، لأن الكتاب والسنة بين أيدينا، والقدرة على تمثلهما والالتزام بتعاليمهما في مقدور الإنسان.

ثانيـًا: فهم التوجيهات التربوية القرآنية يسير، وهذا راجع إلى أن الله تعالى يسر القرآن فقال: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾[القمر: ١٧] تكررت أربع مرار، ولعل في ذلك تأكيداً على يسر العمل بكافة التشريعات الواردة فيه.

ثالثـًا: تنوعت التوجيهات التربوية القرآنية فشملت متطلبات حياة الإنسان واحتياجاته وما يصلح شأنه.

رابعـًا: تنوعت أساليب التوجيهات القرآنية بين الخطاب المباشر والخطاب الضّمني، والأمر والنهي، والبشارة والنّذارة، ومن فوائد ذلك اتزان الفرد المسلم، حيث إن هذه الأساليب تجعله يعايش الوسطية عمليـًا، ويدرك المعنى الشرعي الدقيق للموازنة، مع التنبه لحدودها وضوابطها التي تجعلها بعيداً عن الهوى والرغبات الجامحة.

---

(١) التفسير البسيط للواحدي ١٠/ ٥٤٨.

وأما التوصيات : فإنني أجد المجال رحبًا لدراسة مزيد من الآيات الكريمة واستنطاق المعالم التربوية منها، فعل سبيل المثال يمكن دراسة التربية المالية في سورة النساء فهي تغطي حقوق اليتامى وحقوق المرأة وحقوق المجتمع وحقوق الميراث، والحديث عنها وبيان مراميها التربوية مفيد جداً للمجتمع.

كما يمكن إجراء دراسات موضوعية تربوية على آيات أخر، ولا يخفى أن تعدد مثل هذه الدراسات تعطي مشهداً راقيًا ممكن التطبيق للمجتمع المسلم.

والله الموفق ،،،

المراجع

١-الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي عبدالرحمن بن أبي بكر، تحقيق محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.

٢-أحكام القرآن، لابن العربي محمد بن عبدالله، عناية محمد عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤.

٣-أسباب النزول، للواحدي علي بن أحمد، تحقيق عصام الحميدان، ط٢، دار الإصلاح، السعودية، ١٤١٢ هـ.

٤-إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، لابن القيم محمد بن أبي بكر، تحقيق محمد شمس، ط٣، دار عطاءات العلم بالرياض ١٤٤٠هـ ودار ابن حزم ببيروت، ٢٠١٩ م.

٥-الأمثال في القرآن، لابن القيم، محمد بن أبي بكر، تحقيق إبراهيم بن محمد، ط١، مكتبة الصحابة، مصر، ١٤٠٦هـ.

٦-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي عبدالله بن عمر، تحقيق محمد المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ

٧-البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف، تحقيق صدقي جميل، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٨-التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي محمد بن أحمد، تحقيق عبدالله الخالدي، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ.

٩-تفسير ابن أبي حاتم عبدالرحمن بن محمد، تحقيق أسعد الطيب، ط٣، مكتبة نزار الباز بمكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

١٠-تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير إسماعيل بن عمر، تحقيق سامي السلامة، ط٢، دار طية للنشر، ١٤٢٠هـ.

١١-التفسير البسيط، للواحدي علي بن أحمد، حقق في رسائل دكتوراه، ط١، نشر عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٠هـ.

١٢-تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، للطبري محمد بن جرير، تحقيق عبدالله التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ١٤٢٢هـ.

١٣-التفسير الكبير، للرازي محمد بن عمر، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٤-تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، للقلعي، محمد بن علي، تحقيق إبراهيم عجو، ط١، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٥هـ

١٥-التيسير في التفسير، للنسفي عمر بن محمد، تحقيق ماهر حبوش وآخرون، ط١، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول، ١٤٤٠هـ.

١٦-الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي محمد بن أحمد، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

١٧-روح المعاني، للألوسي محمود بن عبدالله، تحقيق علي عطية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٨-زاد المسير، لابن الجوزي عبدالرحمن بن علي، تحقيق عبدالرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٩-السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق شعيب الآرناؤوط ومحمد قره بللي، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.

٢٠-السنن، للترمذي محمد بن عيسى، تحقيق بشار معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م.

٢١-صحيح البخاري محمد بن إسماعيل، عناية زهير الناصر، ط١، دار طوق النجاة، حلب، ١٤٢٢هـ.

٢٢-صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ.

٢٣-غريب القرآن، لابن قتيبة عبدالله بن مسم، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ

٢٤-الفتاوى الكبرى، لابن تيمية أحمد بن عبدالحليم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٢٥-فتح الباري، لابن حجر أحمد بن علي، عناية محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٦-الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، للقرافي أحمد بن إدريس، طبعة عالم الكتب.

٢٧-الكشاف، للزمخشري محمود بن عمرو، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٨-لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم، عناية اليازجي وجماعة من اللغويين، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٩-المجتمع والأسرة في الإسلام، للجوابي محمد طاهر، ط٣، دار عالم الكتب، ١٤٢١هـ.

٣٠-المحرر الوجيز، لابن عطية عبدالحق بن غالب، تحقيق عبدالسلام محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

٣١-مدخل إلى التربية الإسلامية لسعيد إسماعيل علي، ط١، دار الفكر العربي، ١٤٣١هـ.

٣٢-معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار وآخرون، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٩ هـ.

٣٣-المفردات، للراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، تحقيق صفوان الداودي، ط١، دار القلم والدرر الشامية، دمشق وبيروت، ١٤١٢هـ

٣٤-مقاييس اللغة، لابن فارس أحمد، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ .

٣٥-منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، للرحيلي حمود بن أحمد، ط١، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.

٣٦-الموافقات، للشاطبي إبراهيم بن موسى، تحقيق مشهور آل سلمان، ط١، دار ابن عفان، ١٤١٧ هـ.

٣٧-نظم الدرر، للبقاعي إبراهيم بن عمر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٨-النكت والعيون، للماوردي علي بن محمد، تحقيق السيد عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

فهرس الموضوعات

موجز عن البحث ٣٩٠
مقدمة..... ٣٩٣
التمهيد ٣٩٦
أولاً: تعريف التربية لغة واصطلاحًا ٣٩٦
ثانيًا: تعريف المجتمع..... ٣٩٧
ثالثًا: سورة البقرة ٣٩٨
مسائل تربية المجتمع المسلم وتطبيقاتها ٣٩٩
المسألة الأولى: التربية على الثبات والاستمساك بالحق..... ٣٩٩
المسألة الثانية: التربية المانعة من التلاعب بالأحكام ٤٠١
المسألة الثالثة: التربية بقطع ذرائع الفساد ٤٠٣
المسألة الرابعة: التربية المالية ٤٠٦
المسألة الخامسة: التربية على أدب التعامل مع الله تعالى ومع رسوله – صلى الله عليه وسلم ٤١٤
المسألة السادسة: التربية بالقدوة الحسنة..... ٤١٧
المسألة السابعة: التحذير من الابتداع ٤٢٠
المسألة الثامنة: التربية بتحمل مسؤولية التبليغ ٤٢٣
الخاتمة ٤٢٧
المراجع ٤٢٩
فهرس الموضوعات ٤٣٣